شرح رسالة الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب

المقتبسة من كتاب: الفتاوى السعدية

تأليف العالم المحقق:

عبد الرحمن النصر السعدي

الشارح الشيخ الدكتور:

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر

(الدرس الأول)

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له و أشهد أن محمدًا عبدُه و رسوله صلى الله و سلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، اللهم علِمنا ما ينفعُنا و زدنا علمًا و أجعل ما نتعلمهُ حُجةً لنا لا علينا يا حي يا قيوم يا ذا الجلال و الإكرام.

ثم أيها الإخوة الكرام الحديث في هذا المجلس و مجالس تَتْبعُهُ إن شاء الله عن رسالة قيمة بل مسألة عظيمة للإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى جاءت في ضمن الجامع لفتاويه رحمه الله تعالى، حول الأسباب و الأعمال التي تتضاعف بها الأجور و يتضاعف بها الثواب و هذا باب من الفقه عظيم المكانة، جليل المنزلة، رفيع القدر و يحتاج إلى معرفته كُل مسلم و مسلمة. فما أشدُ حاجتنا إلى أن نَفْقَهْ هذا الباب العظيم الشريف، باب الأسباب و الأعمال التي تتضاعف بها الأجور و يزيد بها الثواب، بحيث تكون صورة العمل واحدة عند هذا و ذاك لكن للأول من الأجر و الثواب العظيم و الأجر الجزيل عند الله تبارك و تعالى ما لا يُدركه الثاني و لا يبلُغه لتحقيق هذه الأسباب التي تتضاعف بها الأجور بحيث تكون صورة العمل الظاهرة واحدة لكن يتفاوت الأجر بين العامليْن تفاوتًا عظيم بحسب التوفيق لهذه الأسباب أو عدمهِ. و الشيخ رحمه الله تعالى أوْرَدَ سؤالًا طُرِحَ حول هذا الموضوع ماهي الأسباب و الأعمال التي يُتضاعف بها الأجور أو يتضاعف الثواب؟ و أجاب عنه، فيحْتمل أن يكون سأله سائلْ و يحتمل أن يكون رحمه الله تعالى طرح السُؤال و أجاب عليه و أيًا كان الأمر فإن الجواب الذي أوردهُ رحمه

الله تعالى مع اختصاره و إجازته أتى على جوامعِ هذا الباب الشريف و مُهِماته و اعتنى فيه رحمه الله تعالى عِناية بالغة بالتقعيد و التأصيل و لم يعتني بجانب البسط و التفصيل لأن مقام ذالك أوسع و مجالهُ أرحب. فاعتنى رحمه الله تعالى عناية بالغة بالتأصيل و ذِكْرِ القواعد و الأصول الكلية الجامعة في هذا الباب مع إشارةٍ إلى بعض الأمثلة التي يتضِحُ بها المقصود و يتبين بها المُراد، و أفاد كثيرًا و أجاد رحمه الله تعالى. و ها أنا في هذا المقام أُذَكِرْ الجميع بأهمية نشر هذه الرسالة على نِطاقٍ واسع و لاسيما و نحن نستقبل موسمًا كريمًا و شهرًا فاضِلًا من مواسم التجارة الرابحة و تضاعف الأجر و الثواب، فحقيقةً العناية بنشر هذه الرسالة و لاسيما في هذا الوقت من أهم ما يكون تذكيرًا و تبصيرًا و تعليمًا و تنبيهًا و يكون مجال نشرِها من خلال طبعِها و من خلالِ أيضًا عناية الخُطب ببيانِ مضامينِها و كذالكم في الدروس و غير ذالكم من المجالات و الوسائل التي تصل من خلالها هذه الفوائد العظيمة الثمينة النفيسة و هي مع أهميتها و عِظم مكانتها قليلة الانتشار حتى بين طلبة العلم فضلًا عن غيرِهِم و هذا مما يُؤكد أهمية العناية بنشر هذه الرسالة. ويوجد لهذا الرسالة شرح مُفرد مطبوع للشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم الحمد أوضح فيه مضامين هذه الرسالة، وذكر الشواهد والدلائل فأفاد جزاه الله خيرا وأجاد، وهو – أي شرحه لهذه الرسالة – مطبوع وفيه نفع وفائدة عظيمة. و نبدأ مستعينين بالله تبارك و تعالى سائِلِنَهُ سبحانه و تعالى أن يكتب لنا الإخلاص و التوفيق و السداد و العلم النافع و العمل الصالح

و أن يهدينا جميعًا إليه صراطًا مستقيمَ، فعليه التوكُلُ و الاعتماد و هو المَرْجُو و المسؤول سبحانه و تعالى. نعم

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على عبد الله و رسوله نبينا محمد و على آله و صحبهِ اجمعينا أما بعد، سُئل الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى:

ماهي الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب؟ فأجاب رحمه الله بقولهِ:

الجواب؛ وبالله التوفيق : أما مضاعفة العمل بالحسنة إلى عشر أمثالها، فهذا لا بد منه في كل عمل صالح، كما قال تعالى﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام: 160] وأما المضاعفة بزيـــادة عن ذلك، وهي مراد السائل، فلها أسباب : إما متعلقة بالعامل، أو بالعمل نفسه، أو بزمانه، أو بمكانه، وآثاره.

نعم، ذكر الإمام عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى أولًا نص السُؤال المطروح ألا و هو ماهي الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب؟، ماهي الأسباب و الأعمال التي يُضاعف بها الثواب؟ أي ماهي الأسباب التي يُطلب من العامل أن يبذلها و أن يقوم بها لتكون سببًا لمُضاعفة أجرهِ على عمله، لتكون سببًا لمُضاعفة الأجر على العمل، لأن الأعمال الصالحات تتضاعف أجورها و يزيد ثوابها عند الله سبحانه و تعالى بناء على أسباب و أمور يُوفق الله سُبحانه و تعالى العاملين للقيام بها. فماهي الأسباب و الأعمال التي يُطلب من العامل أن يقوم بها لتكون سببًا في مُضاعفة الأجر و كما قدمت هذا الأمر

حقيقٌ بالعناية به فقهًا و بصيرًا لأنك إذا وُفقت لفهم هذا الأمر و العناية بفهمه تكون صورة العمل هي هي نفسُها لكن بقيامك بهذه الأسباب و عنايتك بها تتضاعف الأجور مُضاعفةً لا حد لها و الله سبحانه و تعالى يُضاعف لمن يشاء، فهذا جانب من الفقه مهم جدًا للغاية و ها أنت ترى أرباب الدنيا و تُجّارها كيف يبحثون بحثًا دقيقًا عن الأسباب التي يترتب عليها مُضاعفة الأرباح و تحصيل المكاسب الكبيرة الطائلة؛ يُعتن بهذا عِنايةً دقيقة و تُجّار الآخرة الذين يطمعون بالأجور المُضاعفة و الثواب الجزيل و الأرباح الكبيرة يُهمهم جِدًا معرفة هذه الأسباب و الأعمال التي إذا وُفق لها العامل ضُعِّف له الأجر أضعافًا كثيرة و حَصَّل عليه أجورًا عظيمة. فأجاب رحمه الله على هذا السُؤال جوابًا وافِيًا فقال: الجواب؛ وبالله التوفيق، الجواب؛ وبالله التوفيق و قولُهُ بالله التوفيق نظيرٌ لما جاء في قوله ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[هود:88] ، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88] فالتوفيق بيد الله جل و علا لا شريك له، و استحضار هذا الأمر بين يد مسائل العلم و أمور العمل مُهم للغاية، و بالله التوفيق أي توفيقي بيد الله عز و جل، إن كان علمًا فلن تنال صائبُه و لن تُوفق لسديده إلا بتوفيق من الله عز و جل و مَنَّ؛ و إن كان عملًا لن تُوفق لصالحه و مقبولِه إلا بتوفيق من الله سبحانه و تعالى. فالتوفيق بيد الله عز و جل لا شريك له. قال: أما مضاعفة العمل بالحسنة إلى عشر أمثالها، فهذا لا بد منه في كل عمل صالح، لا بد منه في كل عمل صالح لأن الله سُبحانه و تعالى كتب الحسنات الحسنة بعشر أمثالها هذا لا بد منه في كل عمل صالح كُل

عمل صالح يقوم به العبد له عن كُلِ عمل عشر حسنات مثل ما قال عليه الصلاة و السلام في قرأت القرآن كان له بِكُلِ حرفٍ عشر حسنات لا أقول ألف لام ميم حرف بل ألف حرف و لام حرف و ميم حرف، فكل عمل صالح قلّ أو كثر الحسنة بعشر أمثالها و من شواهد ذالكم قول الله سبحانه و تعالى ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام: 160] و بيّن رحمهُ الله تعالى أن هذا ليس مقصود السائل و هو أمر معروف أن العمل قلّ أو كثُر، العمل الصالح بعشر، الحسنة بعشر أمثالها و السيئة لا يجزى إلا بمثلها فالله سُبحانه و تعالى تفضّل على العامِل المُحسن المُطيع لله سُبحانه و تعالى أن الحسنة بعشر أمثالها لكن يقول هذا، بيّن أن هذا ليس المُراد، مُراد السائل و ليس المُراد في موضع البحث و البيان هُنا. قال: وأما المضاعفة بزيـــادة عن ذلك عن العشر، أما المضاعفة بزيادة عن ذلك أي عن العشر حسنات، الزيادة بكم؟ جاء في النصوص إلى سَبعُ مئة ضِعْف، إلى أضعافٍ كثيرة. فهذه المُضاعفات التي تكون للعامل على عمله ما سببها؟ ما الأعمال التي أوصلت إليها؟ قال: وأما المضاعفة بزيـــادة عن ذلك، وهي مراد السائل، فلها أسباب أولًا قوله رحمه الله:" أما المضاعفة بزيـــادة عن ذلك" هذا يدُل عليه دلائل منها قول الله سبحانه و تعالى في سورة البقرة ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ**- فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ- **وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:**261**], و أيضًا قول الله تعالى﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:**40**], وَإِنْ تَكُ

حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا، فباب الحسنات هو باب مُضاعفة و زيادةٍ في الأجور وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ سبحانه و تعالى يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ. فحَرِيٌّ بالعامل أن يُعنى بفقه هذا الباب، باب المُضاعفة؛ مضاعفة الحسنات و مُضاعفة الأجور. جاء في الصحيح أو في الصحيحين عن نبينا عليه الصلاة و السلام أنه قال: { **من هم بحسنة فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ** }، إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ، قوله إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ هذا له أسباب، هذا له أسباب، إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ هذا له أسباب وفق الله سُبحانه و تعالى العاملين إلى القيام بها و الإتيان بها فحصَّلوا هذا التضعيف في الأجور، كذالكم ما جاء في الصحيحين عن نبينا عليه الصلاة و السلام أنه قال:{ **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**} و الأحاديث في هذا الباب كثيرة، جاء في صحيح مسلم عن نبينا عليه الصلاة و السلام أن رجل جاء إلى النبي عليه الصلاة و السلام بناقة مخطومة قال:{ هذه في سبيل الله} قال له عليه الصلاة و السلام:{ **لك بها في الجنة سبع مائة ناقة**}، فهذه مُضاعفة، هذه مُضاعفة و الأحاديث في هذا الباب كثيرة و الشيخ رحمه الله يأتي هُنا في هذه المسألة ببيان الأسباب و الأعمال التي تكون بها هذه المُضاعفة و نيْلُ هذا التضعيف العظيم في الأجور. قال: وأما المضاعفة بزيـــادة عن ذلك، وهي مراد السائل، فلها أسباب –فلها أسباب–: إما متعلقة بالعامل، أو بالعمل نفسه،–أو مُتعلقة بالعمل نفسه– أو بزمانه، أو بمكانه، وآثاره. فهذه الآن خمسة أمور تتعلق بها المُضاعفة، تتعلق

بها المُضاعفة. الأمر الأول لها تعلق بالعامل، العامل من حيث إخلاصه لله سبحانه و تعالى في عمله و سيأتي بسط ذلك و بيانه عند المصنف رحمه الله تعالى، و من حيث مُتابعته للرسول عليه الصلاة و السلام، من حيث صدقُه مع الله جل و علا و اجتماع إرادته و همته على هذا العمل، مُتقربًا به إلى الله جل و علا. فالمُضاعفة تكون أولا من جهة العامل و ثانيًا تكون من جهة العمل نفسِه فهناك أعمال مُعينة جاءت النصوص دالةً على أن أجورها مُضاعفة و أن ثوابها جزيل و من ذالكم ما ذكره أهل العلم في باب الأذكار، الذكر المُضعّفْ أي المُضعّف أجرهُ و ثوابهُ عند الله سبحانه و تعالى، انظر إلى التضعيف في قوله عليه الصلاة و السلام { **كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**} أيضًا ما جاء في الحديث لما مرّ عليه الصلاة و السلام بالمرأة التي جلست في مُصلاها تُسبحْ و تذكُر الله قال:{ **لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلته لوزنتهن: سبحان الله و بحمده عدد خلقه و رضا نفسه و زنة عرشه و مداد كلماته**} فهذا ذِكْرٌ مُضعّف، معنى مُضعّف أي أن ألفاضه قليلة و ثوابه جزيل، و ثوابه عند الله سبحانه و تعالى مُضاعف، فهذه كانت تذكر الله عز و جل في مُصلاها و قال بعدها أربعة كلمات لو وُزنت بما قالته تلك المُدة لوزنتهن. فإذن التضعيف من أسبابه ما يكون في العمل نفسه حيث دلّتْ النصوص على أنه مُضعّف و أن ثوابه عند الله سُبحانه و تعالى مُضعّف. كذالكم من الأمور التي يتعلق التضعيف الزمان أي الزمان الفاضل، الزمان الشريف لأنه الله سُبحانه و تعالى خص أزمنة

بمزيد فضل و ميّزها بمزيد بركة و من ذالكم هذا الشهر الكريم و الموسم العظيم الذي نستقبِلهُ و دنت أيامُهُ؛ نسأل الله الكريم أن يُبلِغنا جميعًا إياه على أحسن ما يكون من طاعة و تقربٌ لله سبحانه و تعالى، فهو موسم من مواسم التضعيف و فيه ليلة واحدة، انظر التضعيف المُتعلق بالزمان؛ ليلة واحدة خير من ألف شهر، ليلة واحدة خير من ألف شهر، ألف شهر تُعادل بحساب السنوات أكثر من ثمانين سنة، ليلة واحدة أجرُها و أجر العمل فيها خيرٌ من أكثر من ثمانين سنة، هذا تضعيف عائد إلى الزمان، فالحديث يقول عليه الصلاة و السلام:{ مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ} أي العشر الأولى من شهر ذو الحجة. فإذن هناك تضعيف عائد إلى الزمان فالله سبحانه و تعالى يخلق ما يشاء و يختار و من ذالكم أنه خص بعض الأزمنة بمزيد فضله و عظيم منّه و جزيل ثوابه فكان العمل فيها مُضاعّفًا و الأجر فيها جزيلًا. فليلة القدر خير الليالي و يوم عرفة خير الأيام، و يوم عرفة خير الأيام، و في ليلة القدر لله سبحانه و تعالى فيها مِنح و عطايا و مِننْ عِظام يمُن بها على من يشاء من عِباده و أيضًا في يوم عرفة ذالك اليوم المُبارك في تلك العشية المُباركة لله سبحانه و تعالى فيها مِنن عِظام و عطايا جزال. و يوم عرفة هو أكثر أيام الله سبحانه و تعالى التي يكون له فيها عُتقاء من النار. فإذن هناك تفضيل أو تضعيف في الثواب و الأجر عائد إلى الزمان و هناك تضعيف عائد إلى المكان، هناك تضعيف عائد إلى المكان مثل قول نبينا عليه الصلاة و السلام:{ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ } إذن هذا تضعيف في الثواب عائد إلى المكان فالصلاة في المسجد الحرام بمِائَةِ أَلْفِ، تضعيف عظيم و الصلاة في المسجد النبوي بألفِ صَلَاة، و الصلاة في المسجد النبوي بألفِ صَلَاة فهذا تضعيف عائد إلى المكان. و الأمر الخامس مما ذكرهُ رحمه الله تعالى التضعيف العائد إلى الأثر أي آثار العمل و ما يُثمِره العمل من نتائج عظيمة و مُباركة فهذه أيضًا فيها تضعيف لا حد له؛ و الله سُبحانه و تعالى يقول في سورة يس ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ - وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ- وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس:12] فأثار العمل تُكتبْ، حسنة تلك الآثار أو سيئة، فإذا وفق الله سبحانه و تعالى العامِل للقيام بأعمال لها آثار فإن هذه الآثار كُلما امتدت و كُلما توالت تضاعف أجرُهُ و ثوابه عند الله سُبحانه و تعالى بحسب تلك الآثار و لهذا قال عليه الصلاة و السلام:{ مَن دعا إلى هدى، كان له من الأجْر مثل أجور مَن تَبعه، لا يَنْقص ذلك من أجورهم شيئًا } قال :{ الدال على الخير كفاعله} و هذا يُبين المكانة العظيمة لنشر العلم و بيانهُ و إيصاله للناس و إفادتهم به، فكم في ذالكم من خير و كم في ذالكم من الأجر و الثواب ينالهُ العالم في حياته و يناله بعد وفاته، كُلما استفاد مُستفيدٌ أو تعلم مُتعلِمٌ أو تفقه مُتفقهٌ على كُتبه و مُؤلفاته و رسائله و نصائحه و بنيانه و توجِهاته. و قديماً كانوا يقولون:{ الكتاب ولدك المُخلدْ} لأن النبي عليه الصلاة و السلام قال:{ إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ } و ذكر منها عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، فقالوا الكتاب ولدك المُخلد و في زماننا هذا تيسرت وسائل حفظ الصوت، وسائل حفظ

الصوت فأصبح العالم يموت و يبقى صوته. الإمام ابن باز رحمة الله عليه و الإمام بن عثيمين و الإمام الألباني و غيرهم من أهل العلم أصواتهم موجودة فيها عُلومهم و بيانهم و نُصحهم و توجيههم و لا يزال طلب العلم يستمعون إلى علومهم بأصواتِهم و يستفيدون منها، فهذا النفع بطالب علم إلى الناس سواءً ببيان العالم أو بإيصال علم العالم إلى الآخرين، قد لا يكون الإنسان عالمًا لكن يُوصل علم العالم إلى الآخرين؛ إمَّا بإيصال كتابٍ أو شريطٍ نافعٍ أو دلالةِ طالب علم إلى مجلس علم، كم في هذا من الآثار المُباركة. أحيانًا يُوفق شخص إلى أن يحُث شخصًا إلى طلب العلم، يرى صغيرٍ فيحُثهُ إلى العلم و يُرغِبه في العلم فينشرح صدرهُ و يُقبل على العلم فيُكتب لهذا الذي دلهُ على هذا الشيء أجره و الله واسع عليم سبحانه و الدال على الخير كفاعله، فإذن هذا باب عظيم جدًا من مُضاعفة الأجور يغفل عنه الإنسان و النفع المُتعدي أعظم من النفع القاصِرْ، عندما يفتح للناس مجالات أو أضواء سواءً في مجال العلم أو في مجال أيضًا نفقة الأموال، قد يكون شخص لا مال عنده لكنه يحدث صاحب مال بطريقة سديدة جيدة في نفقة هذا المال و بذلِه فيعمل بها فيُكتب لهذا الفقير أو المُعدم أجر ذلك المنفق لأن الدال على الخير كفاعله و الله واسع عليم سبحانه و تعالى، فهذا باب عظيم جدًا حقيقةً يجْدُر بالمسلم أن يعتني به و الرجل قد يقول الكلمة لا ينقل لها بال يرفع بها عند الله عالي الدرجات و رفيع المنازل، و هذا أيضًا من هذا الباب باب المُضاعفة، بالكلمة الصادقة الناصح فيها لعباد الله التي تكون نابعة عن صدق و عن إخلاص و عن حرصٍ على نفع العباد. إذن هذا الباب من باب

المُضاعفة و هو باب الآثار و يُسميه بعضُ العلماء عمر الإنسان الثاني: الإنسان له عمران في أعماله، وقت حياته، الأعمال التي يُقدِمها و بعد مماته أثار أعماله، أثار أعماله و المُوفق من عباد الله سبحانه و تعالى من تكون هِمته في عمله ليست قاصرة على أجرٌ يُحصله على عمله في وقته، بل تطمح نفسه إلى أعمال و أجور يُحصلها بعد وفاته و هذا هو التخطيط النافع المُفيد، غاية الفائدة للعبد أن يُخطط لشيء يُحصل أجوره و ثوابه إلى ما لا حد له و لا عد، و من عجائب الأمر أن من الناس من يمشي على قدميْه في الأرض صحيحًا مُعافى و يُمرُ عليه الأيام، بل و الشهور و السنوات و ربما لا يُحصِلُ أجرًا بل يكتسب إثمًا و وزرًا و آخرون تحت التُراب توفّاهم الله سبحانه و تعالى من سنوات طويلة و من أعمال مديدة و هم كُل يومٍ يُحصلون أجورًا، كُل يومٍ يُحصلون أجورًا و ثوابًا، و هذا يمشي على قدميْه صحيحًا، مُعافى و يُمر عليه اليوم و الاثنين و الثلاثة و الشهر و الشهرين و الثلاثة و السنة و السنتين و الثلاثة و لا يُحَصّل أجرًا بل يُحصّل و عياذ بالله وِزرًا و إثم، و ذلك ميت في قبره و الأجور عليه تتوالى كُل يوم، و هذا وفقه الله سبحانه و تعالى في حياته إلى العناية بهذا الجانب الذي هو باب تضعيف الأجر الذي يتعلق بآثار العمل، أثار العمل و هذا جانب حقيقةً ينبغي للعبد أن يتفقه فيه و أن يحرص على أن يجعل له فيه نصيب، يحرص على أن يجعل له فيه نصيب لأنه سيأتي يوم و تنتهي مدته في هذه الحياة فيحرص على أن مدته تنتهي في هذه الحياة و يبقى الأجر و قد قال عليه الصلاة و السلام:{ **إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ**

يَدْعُو لَهُ} فإذن هذا مجالات، مجالات خمسة للتضعيف، تضعيف الثواب: الأول يتعلق بالعامِل و الثاني بالعمل نفسه و الثالث بزمانه و الرابع بمكانه و الخامس بآثاره. و بعد هذا الإجمال شرع رحمه الله تعالى بالتفصيل، تقعيدًا لهذا الأمر و تأصيلًا.نعم

- فمن أهم أسباب المضاعفة إذا حقق العبد في عمله الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول؛ فالعمل إذا كان من الأعمال المشروعة، وقصد العبد به رضي ربه وثوابه، وحقق هذا القصد بأن يجعله هو الداعي لـه إلى العمل، وهو الغاية لعمله، بأن يكون عمله صادراً عن إيمان بالله ورسوله، وأن يكون الداعي لـه لأجل أمر الشارع، وأن يكون القصد منه وجه الله ورضاه، كما ورد في عدة آيات وأحاديث هذا المعنى ، كقوله ـ تعالى ـ: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة:27] أي : المتقين الله في عملهم بتحقيق الإخلاص والمتابعة، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)، و (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه). وغيرها من النصوص.

- والقليل من العمل مع الإخلاص الكامل يرجح بالكثير الذي لم يصل إلى مرتبته في قوة الإخلاص، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة تتفاضل عند الله بتفاضل ما يقوم بالقلوب من الإيمان والإخلاص؛ ويدخل في الأعمال الصالحة التي تتفاضل بتفاضل الإخلاص ترك ما تشتهيه النفوس من الشهوات المحرمة إذا تركها خالصاً من قلبه، ولم يكن لتركها من الدواعي غير الإخلاص وقصة أصحاب الغار شاهد بذلك.

قال رحمه الله: فمن أهم أسباب المضاعفة إذا حقق العبد في عمله الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول صلى الله عليه و سلم، هذا أهمُ سبب للمُضاعفة في العمل؛ أن يكون العامل في عمله مُخلصًا لله سبحانه و تعالى مُتبعًا للرسول الكريم عليه الصلاة و السلام، بل إن هذين الأمرين شرط قبول الأعمال و لا يقبل الله سبحانه و تعالى عمل عامل قلّ أو

كثر إلا إذا كان قائمًا على هذين الشرطين العظيمين: الإخلاص للمعبود و المُتابعة للرسول صلى الله عليه و سلم، قد جمع الله بينهما في قوله ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف:110], أي ليكن في عمله مُتبعًا للرسول صلى الله عليه و سلم، مُخلصًا لله عز و جل. فالعِبرة بالأعمال ليس مُجردِ كثرتها و توافرُها و تعددها و إنما العِبرة بالأعمال بحُسنها ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:2], لمن يقل أكثرُ عملًا، لأن العِبرة بحُسن العمل، و في الدُعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه و سلم لِحِبهِ مُعاذ ألا يدعه دُبر كُلِ صلاة قال أن تقول:{ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ } و لم يقل و كثرة عبادتك لأن العبرة بالحسن ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:2], و في معنى هذه الآية الكريمة قال الفُضَيْل بن عُياض رحمه الله تعالى لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا قال:" أخلصه و أصْوَبَهُ، قيل و ما أخلصهُ و أصْوَبَهُ؟ قال:{ إن العمل إذا كان خالصًا و لم يكن صوابًا لم يُقبل و إذا كان صوابًا و لم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، و الخالص ما كان لله و الصواب على السنة}، فالإخلاص لله سبحانه و تعالى فيه بركة عظيمة و قليل من العمل بإخلاص من المعبود خير من كثير بلا إخلاص، خير من كثير بلا إخلاص فالإخلاص يُنمي العمل و يُضعِفه و يكون سببًا لبركته و عِظم ثوابه عند الله سبحانه و تعالى، و لهذا كما سيأتي عند الشيخ رحمه الله تتضاعف الأجور و إن كانت صورة العمل واحدة بحسب ما قام في قلوب أصحابِها من إخلاص لله، حتى كلمت التوحيد لا إله إلا الله، كلمت التوحيد لا إله

إلا الله، قال:{ من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه} الناس يتفاوتون في لا إله إلا الله عندما يقولونها و تتفاوت منازلهم فيها و هذا يُبين لك حديث البطاقة الذي قد يُشكل معناه على بعض الناس، قال عليه الصلاة و السلام:{ يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ منها مَدَّ الْبَصَرِ فَيُقَالُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ ذَلك شَيْئًا. فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ عِنْدَكَ حَسَنَةٌ؟ فيهاب الرَّجُلُ و يَقُولُ: لا، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: يَا رَبِّ و ما هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ.- بطاقة واحدة فيها لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وسجِلَّاتِ عددها تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، كُلها ذنوب قال ما هذه البطاقة مع هذه السجلات - قال: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. فَوُضِعَ الْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ و السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ – و هذا من الدلائل من أن الميزان الذي يُنصب يوم القيامة له كِفتان: كِفة تُضع فيها الحسنات و كِفة تُوضعُ فيها السيئات ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء:47]-, قال: فَوُضِعَ الْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ و السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ فَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ و طَاشَتِ السِّجِلاتُ} و لا يثقل مع اسم الله شيء، ثقلت البطاقة التي فيها لا إله إلا الله و طَاشَتِ السِّجِلاتُ، ما سبب هذا الثقل مع أنه دلت نصوص أخرى أن هناك ممن يقول لا إله إلا الله و هو من أهل التوحيد يدخُل النار بسبب ذنوبه و يُعذب في النار وقتًا و أمدًا بسبب ذنوبه و هذا عليه شواهد و دلائل كثيرة جدًا و منها قوله عليه الصلاة و السلام في الحديث الذي في الصحيح { يخرج من النار من قال لا إله إلا الله و في قلبه أدنى

مثقال ذرةٍ من إيمان } يخرج من النار من قال لا إله إلا الله. إذن هناك من أهل لا إله إلا الله، من أهل التوحيد يدخلون إلى النار بسبب الذنوب و صاحب هذه البطاقة ثقُلت بطاقته إذن هذا له سبب، هذا الثقل له سبب يدُل على أن الأعمال تتضاعف مُضاعفةً عجيبةً لا حد لها بحسب ما قام في قلب العامل و لهذا يتفاوت الناس تفاوتًا عظيمًا حتى في قول لا إله إلا الله، يتفاوت الناس، تفاوتًا عظيمًا حتى في قول لا إله إلا الله: هُناك من يقولها مُخلصًا، صادقًا من قلبه، مُستوفيًا شروطها؛ هناك من يقولها و يأتي بأمور تُنقِصُ كمالها؛ و هناك من يقولُها و يأتي بأمور تنفضُها من أصلِها؛ و هُناك من يقولُها بلسانه و لم يقم في قلبه شيء من حقائقها، كما هو الشأن في حال المُنافقين الذين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله بألسنتهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقين:1], ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:14], قولهم آمَنَّا هذا باللسان و لم يقم في القلب شيء من حقائق الإيمان، فإذن باب التضعيف إلى أضعاف لا حد لها عائد لما إقامة في القلوب فتكون صورة العمل واحدة: الركوع هو الركوع و السجود هو السجود و مُدة العمل هي مُدة العمل لكن بين العمليْن تفاوت عظيم بحسب ما قام في القلب من إخلاص و صدق و غير ذالكم من الحقائق، حقائق الإيمان التي تكون في قلوب المؤمنين. كذالكم جانب المُتابعة للرسول صلى الله عليه و سلم و الحرص على ترصُدِ خُطاه و السَيْرُ على نهجِه، قليل من العمل

يقوم به العبد مُوافق به السنة خير من كثيرٌ من العمل لا أصل له و لا أساس في شرع الله و لهذا قال السلف رحِمهم الله قديمًا:{ **اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ** } اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ تأتي بعمل مقتصد قليل و يسير تُوافق فيه سُنة النبي عليه الصلاة و السلام خيرٌ من ليالي و أيامٍ يمضيها الإنسان في أعمال لا أصل لها في هديه صلوات الله و سلامه عليه، و قد قال الله تعالى ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالا (103) الَّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)** ﴾ [الكهف:**103-104**], إما لفقد الأسماء أو لفقد الإتباع، و قد قال عليه الصلاة و السلام:{ **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**}[4] فإذن العمل يتفاوت قبولًا و ردًا و أيضًا يتفاوت تضعيفًا و ثوابًا و أجرًا عند الله سُبحانه و تعالى بحسب التوفيق للإتباع و الإقتداء و الاهتداء بهدي الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام. قال رحمه الله: فالعمل إذا كان من الأعمال المشروعة، العمل إذا كان من الأعمال المشروعة هذا قيد الإتباع للنبي عليه الصلاة و السلام، إذا كان من الأعمال المشروعة أي ثبت به هديٌ عن نبينا الكريم صلوات الله و سلامه عليه وقصد العبد به رضي ربه وثوابه، أي أخلص فيه و ابتغى بالعمل وجه الله وحقق هذا القصد وحقق هذا القصد بأن يجعله هو الداعي لـه إلى العمل، لماذا يقوم بهذا العمل؟ ما الداعي له؟ ما السبب الذي دفعه لقيامه؟ طلب ثواب الله سبحانه و تعالى، قال بأن يجعل هذا هو الداعي إلى العمل، يخرج من بيته حين يخرج و هو ليس له قصدٌ و ليس له مُراد إلا هذا: يطلب ثواب الله، قد قال الله سبحانه و تعالى ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا**

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:19]. أَرَادَ الآخِرَةَ هذا قيد الإخلاص، وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا هذا قيد الإتباع، السعي سعي الآخرة هو الذي جاء به نبينا عليه الصلاة و السلام و الأعمال التي ثبتت عنه صلى الله عليه و سلم، أراد الآخرة مُخلِصًا سَعَى لَهَا سَعْيَهَا مُتبعًا مُقتدِيًا بهدي الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام و أقام ذلك على الإيمان، فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا أي أولئك هم الذين يشكُر الله عملهم و يقبل الله طاعاتهم و يُثيبهم عليها عظيم الثواب. قال: بأن يجعله هو الداعي لـه إلى العمل، وهو الغاية لعمله، تأمل يجعل الإخلاص و المُوافقة لهدي النبي عليه الصلاة و السلام و السير على مِنهاجه هو الداعي للعمل و يجعل ذلك هو الغاية لعملهِ، فيكون مَبْدَأ العمل و مُنْتهاهُ و كُل ما يكون أثناء العمل يبتغي به وجه الله سُبحانه و تعالى و يتبع فيه الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام. قال: بأن يكون عمله صادراً عن إيمان بالله ورسوله، وأن يكون الداعي لـه لأجل أمر الشارع، وأن يكون القصد منه وجه الله ورضاه، تأمل هذه الثلاث التي ذكرها فإنها مُجتمعة في آية الإسراء التي مر ذِكْرُها آنفًا قال نعيدُها قال: بأن يكون عمله صادراً عن إيمان بالله ورسوله، وأن يكون الداعي لـه لأجل أمر الشارع، وأن يكون القصد منه وجه الله ورضاه هذه الثلاث مُجتمعة في قوله ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:19]. أي أن السعي يكون مشكورًا، مرضِيًا، مثابًا عليه عند الله، مُتقبلًا إذا قام على هذه الأمور الثلاث: أن يكون عن إيمان بالله و رسوله؛ وأن يكون الداعي له لأجل أمر الشارع و

سعي لها سعيها؛ وأن يكون القصد منه وجه الله ورضاه و من أراد الآخرة. قال: كما ورد في عدة آيات وأحاديث هذا المعنى- كما ورد في عدة آيات وأحاديث هذا المعنى- كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:27]، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:27]، قال مُبينًا معنى الآية: أي : المتقين لله في عملهم بتحقيق الإخلاص والمتابعة، بتحقيق الإخلاص والمتابعة و ذكر رحمه الله تعالى في كتابه التفسير، عند تفسير لهذه الآية أن هذا بإجماع أهل العلم في معنى هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:27]، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:27]، ما المُراد بالْمُتَّقِينَ؟ الذين يتقبل الله سبحانه و تعالى منهم أعمالهم أي الذي اتقوهُ في العمل ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:27] أي الذين اتقوْهُ سُبحانه و تعالى في العمل. و كيف تكون تقواهُ في العمل؟ بأن يقع خالصًا لله و أن يكون مُوافقًا لهدي رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ هذه حقيقة تقوى الله في العمل، أن يكون خالِصًا لله لا يُريدُ به رياءً و لا سُمعةً و لا حطام دنيا و لا غير ذلك من مقاصد، بل يريد به وجه الله سبحانه و تعالى و ثوابه و أجرهُ، فهذا من تحقيق تقوى الله في العمل. و من تحقيق تقوى الله في العمل أن يكون العمل مُوافِقًا للهدي، مُطابقًا لسنة النبي صلى الله عليه و سلم، فمن اتقى الله في عمله، فمن اتقى الله في عمله فجاء العمل خالصًا للمعبود مُوافقًا لهدي الرسول صلى الله عليه و سلم تقبل الله منه ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:27]، و قد قال طلق بن حبيب رحمه الله تعالى في تعريفه للتقوى و هو كما قال غير واحد من أهل العلم، أجمل تعريفٍ قيل في التقوى، قال

رحمه الله:{ **تقوى الله أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاءً ثواب الله و أن تترك معصية الله على نورٍ من الله خِفةٍ عذاب الله** } فنبه على الأمرين اللذين تتحقق بهما التقوى في العمل: المُتابعة في قوله "على نورٍ"، و الإخلاص "رجاءً ثواب الله " و " خوف عذاب الله"، هو يعمل لله سبحانه و تعالى، يرجوا ثوابه و يخافُ عِقابه فهذه حقيقةً التقوى، تقوى الله سبحانه و تعالى في الأعمال التي لا تُقبل الأعمال إلا به أن تكون الأعمال خالصةً لله سبحانه و تعالى و أن تكون صوابًا على هدي الرسول الكريم صلوات الله و سلامه عليه. فإذا افتقد العمل الإخلاص أو افتقد المُتابعة لم يُقبل، أو افتقدهما معًا؛ و بهذا يُعلم بأن أقسام الناس في هذا الباب أربعة:

[القسم الأول]: أهل الإخلاص و المُتابعة، و هم وحدهم الذين تتقبل أعمالهم؛

[القسم الثاني]: إخلاص بلا مُتابعة؛

[القسم الثالث]: مُتابعة بلا إخلاص؛

[القسم الرابع]: لا إخلاص و لا مُتابعة؛

و الثلاثة الأخيرون كلهم لا تُقبل أعمالهم، من أخلص و لم يُتابع لم يقبل لقوله عليه الصلاة و السلام:{ **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردْ**}، و من تابع و لم يُخلص لن يقبل لقول الله تعالى في الحديث القدسي:{ **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** } و من لم يُخلص و لم يُتابع لن يقبل. فلا يُقبل إلا

عمل المُتقين و هم الذين أخلصوا دينهم لله تبارك و تعالى و اتبعوا فيه هدي الرسول الكريم صلوات الله و سلامه و بركاته عليه. ثم ذكر رحمه الله تعالى دليلًا آخر، ثم ذكر رحمه الله تعالى دليلًا آخر و هو يتعلق بالصيام، بلغنا الله شهره و وفقنا لصيامه إيمانًا و احتسابًا. قال: وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)و (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) و{ مِنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ } فهذه أربعة أو ثلاث أمور فيها غُفران ما تقدم من الذنوب في موسم رمضان المُبارك، قيامهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، صيامه إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، قيام ليلة القدر إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، في كل ذالكم قال عليه الصلاة والسلام غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ لكن قيد الصيام و القيام بها القيد: إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ فإذا فُقِد هذا القيد و لم يُتوفر هذا القيد و لم يُوجد هذا القيد كيف تكون حال الصائم؟ و كيف تكون حال القائم؟ رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع و العطش و رُبَّ قائمٍ ليس له من قيامِه إلا التعب و النصب، فإذن هذا قيد لا بُد منه في العمل و إذا وُجِدَ تُقُبِلَ العمل و إذا وُجِدَ ضُوعِفَ الأجرُ و الثواب عند الله سبحانه و تعالى، قال من قام رمضان إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، و قال من صام رمضان إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. و هذا الباب إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا أين مكانه؟ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا هذه الجملة أين مكانها في العبد؟ في القلب، مكانها في القلب ليست في صورة العمل الظاهرة، قيام رمضان إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ الإيمان و الاحتساب مكانه القلب. فعاد القبول و التضعيف و الثواب الجزيل إلى ما قام في القلب، ما قام في القلب

من إخلاص، ما قام في القلب من صدق، ما قام في القلب من احتساب، ما وُجد في القلب من إيمان، فهذا قيد يترتب عليه التضعيف في الأعمال ثم قال رحمه الله تعالى: وغيرها من النصوص أي الدالة على أن الأعمال لا تتقبل إلا بتقوى الله سبحانه و تعالى فيها لأن تكون خالصة لله، مُوافقة لهدي رسول الله صلى الله عليه و سلم، قائمةً على الإيمان بالله عز و جل و احتساب أجرهِ و ثوابه سبحانه و تعالى.

قال: والقليل من العمل مع الإخلاص الكامل يرجح بالكثير الذي لم يصل إلى مرتبته في قوة الإخلاص، و هذه قاعدة في هذا الباب، و رسالته هذه تضمنت قواعد مفيدة جدًا ذكرها في مواضع من هذه الرسالة من بينها هذه القاعدة: القليل من العمل مع الإخلاص الكامل يرجح بالكثير الذي لم يصل إلى مرتبته في قوة الإخلاص، و هذا فيه التنبيه منه رحمه الله تعالى إلى أن أهل الإخلاص يتفاوتون أيضًا في إخلاصهم، يتفاوتون في إخلاصهم كُلن يُوصفْ أنه مخلص لكن درجة الإخلاص و قوته و تمكن في القلب و رسوخه و ثباته يتفاوت فيه أهله تفاوتًا عظيمًا، و لا يُمكن أن يكون إخلاص المُقربين كإخلاص من دونهم من أحاد الناس. و العمل لا يُقبل إلا بالإخلاص، العمل لا يُقبل إلا بالإخلاص لكن يتفاوت أهله فيه تفاوتًا عظيمًا و لهذا قال: و القليل من العمل مع الإخلاص الكامل يرجح بالكثير الذي لم يصل إلى مرتبته في قوة الإخلاص، إلى مرتبته في قوة الإخلاص. إذن صورة العمل الظاهرة قد تكون واحِدة، هذه مثلا الصلاة: ركوعها واحد و سجودها واحد و أعمالها واحدة، كلهم يصلي خلف إمام واحد لكن هذا المُصلي و ذاك المُصلي

يتفاوتون في الأجر تفاوتًا عظيمًا بحسب ما قام في قلوبهم من الإخلاص و قوته. قال: ولهذا كانت الأعمال الظاهرة تتفاضل عند الله بتفاضل ما يقوم بالقلوب من الإيمان والإخلاص، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة تتفاضل عند الله بتفاضل ما يقوم بالقلوب من الإيمان والإخلاص؛ فما يقوم في القلوب من إخلاص للمعبود و إيمانٍ به تبارك و تعالى و احتسابًا لأجره و ثوابه له أثره العظيم و تأثيرهُ البالغ في رفعة درجات العامل و عِظم ثوابه عند الله تبارك و تعالى. ثم تحدث رحمه الله عن جانب آخر يتعلق بالإخلاص و هو الإخلاص لله تبارك و تعالى في ترك المحرمات و ترك ما تشتهيه النفوس مما يُغضب الله سبحانه و تعالى و يُسخطه جل و علا. ومن المعلوم أن الناس في هذا الباب يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا في تركهم للمعاصي. بعضهم يترك المعصية حِفاظًا على جسمه، يترك المعاصي حِفاظًا على جسمه أو نحو ذلك؛ و منهم من يترك المعصية، لا يتركها إلا لأجل الله و لم يقم في قلبه حين تركها إلا لأجل الله سبحانه و تعالى مثل قصة الثلاث الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار و هذا الموضوع فيه شيء من التفاصيل التي تحتاجُ شيء من الوقت فنُرْجِعْ الحديث عنه إلى لقاء الغد بإذن الله تبارك و تعالى و نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحُسنى أن يجعل أعمالنا كُلها له خالصة و لهدي نبينه الكريم صلى الله عليه و سلم مُوافقة و أن يتقبلها مِنا بقبول حسن و أن يُصلح لنا شأننا كُله و أن لا يكِلنا إلى أنفُسِنا طرفة عين، فاللهم أعنّا و لا تُعن علينا و انصرنا و لا تنصر علينا و أنكر لنا و لا تنكر علينا و أهدنا و يسر الهدى لنا و أنصرنا على من بغى علينا، اللهم

اجعلنا لك ذاكرين لك شاكرين إليك أوهين منيبين لك مخنثين لك مُطيعين، اللهم تقبل توبتنا و اغفر حوبتنا و ثبت حُجتنا و اهدي قلوبنا و سدد ألسنتنا و أسلل سخيمة صدورِنا، اللهم زيّنا بزينة الإيمان و اجعلنا هُداةً مُهتدين غير ضالين و لا مُضلين، اللهم إنا نسألك حُبك و حُب من يُحبك و العمل الذي يُقربُنا إلى حُبكْ، اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعاتك ما تبلغ به لنا جنك و من اليقين ما تهون عليه مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعِنا و أبصارنا و قوتنا ما أحييتنا و أجعله الوارث منا و أجعل ثأرنا على من ظلمنا و انصرنا على من عادانا و لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدنيا أكبر همِنا و لا مبلِغ علمِنا و لا تُسلط علينا من لا يرحمنا، سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك، اللهم صلى و سلم على عبدك و رسولك نبينا محمد و آله و صحبه.

السؤال:

جزاك الله خيرًا و بارك الله فيكم و ألهمكم الله الصواب و وفقكم للحق، نفع الله بما سمِعنا و غفر الله لنا و لكم و للمسلمين أجمعين. يقول السائل هل السيئات كذالك تتضاعف كما أن الحسنات تتضاعف؟

الجواب:

السيئات كُل سيئة بمثلها، كُل سيئة بمثلها لكن السيئة في الوقت الفاضل و في الزمان الفاضل تكون مُغلظةً بالكيفية لا بالكمية، فالعقوبة على السيئة في المكان الفاضل أو الزمان

الفاضل تعظم و العقوبة عليها أغلظ لأن العقوبة على الذنب ترجع إلى الأمور التي احتفت بالذنب، فالعقوبة عليه ترجع إلى جنسه، جنس الذنب و ترجع أيضًا إلى الأمور التي تحتفُ بالذنب و يُعتبر في هذا الباب على سبيل المثال الزنا؛ الزنا ممن لم يقم فيه داعي الشهوة أعظم ممن قام فيه، داعي الشهوة و كُل منهم مُعاقب، كُل منهم مرتكبٌ كبيرة لكن في الحديث قال عليه الصلاة و السلام:{ ثلاثة لا ينظر الله إليهم و لا يُكلمهم و لا يُزكيهم يوم القيامة و لهم عذاب أليم} و ذكر منهم اشيمط زان يعني رجل مُسن و يقع في الزنا مع أنه الداعي ضعف، الداعي ضعف مما يدل على فساد عظيم فيه. كذالكم في أمور أخرى تحف به: الزنا بقريبة الإنسان أو قريبة الدار أعظم من البعيد لِما احتف به من الأمور. فالشاهد أن العمل السيئ أو المعصية يغلظ ثوابها و عقوبتها و تعظم عند الله سبحانه و تعالى بحسب الأمور إما الزمان أو المكان أو العمل أو الأمور المُحتفة به.